

الذكاءات المتعددة والقراءة بالحواس الخمس

إعداد

أ/ يعقوب الشاروني^(*)

تجربة من مصر - الطفل العادى فى فصول الدمج :

عندما قام مركز سيتى التابع لهيئة كاريئاس بمصر بتنفيذ مشروع دمج الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة فى فصول الأطفال العاديين خلال الأعوام من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠١ ، جاء فى نتائج التجربة التى وردت فى " التقرير النهائى للتقويم والمراجعة للمشروع الاستطلاعى للتربية المحببة " ما يلى :

- " حدثت تقدم ملحوظ فى المهارات الأكاديمية للتلاميذ من غير ذوى الاحتياجات الخاصة مقارنة بأقرانهم فى الفصول التى لم يتم بها الدمج ، وذلك بسبب تنوع أساليب التدريس بالفصل " .

اختلاف وتنوع أساليب التدريس يواجه اختلاف أنواع ذكاء الأطفال :

ومعنى هذا أن المدرس عندما لجأ إلى أساليب تدريس يخاطب بها مختلف الحواس ، وتواجه اختلاف أنواع الذكاء المختلفة لدى الأطفال ، حققت العملية التعليمية نتائج متميزة عما يحدث فى الفصول الأخرى التى يلتزم فيها المدرسون بأسلوب واحد يركز فقط على حاسة السمع وعلى الحفظ وعلى نوع واحد عام وموحد من الذكاء ، ولا يستخدم الأساليب التى تخاطب مختلف الحواس والتى تتعامل مع الأنواع المختلفة من الذكاء حسى أو سمعى أو بصرى أو حركى أو بيئى أو اجتماعى أو نكاه فى فهم النفس والقدرة على التعبير عنها بجوار الذكاء اللغوى والذكاء الحسابى (الرياضيات) .

(*) رائد أدب الأطفال - الرئيس الأسبق للمركز القومي لتقافة الطفل.

يستحيل أن يكون مقياس التلاميذ واحداً :

إن الأمر يشبه مدرسة قد فرضت على تلاميذها ارتداء زى موحد بمقياس موحد نفترض مثلاً أنه مقياس ٣٧ للذكاء والبنطلون والقميص والجوئلة التى يجب أن تكون كلها مقياس ٣٧ ، ومن لا يلائمه هذا المقياس يعتبرونه طفلاً غير صالح للالتحاق بالمدرسة أو لديه صعوبات تحول بينه وبين الاستفادة الكاملة من التعليم .

وطبعاً لا توجد مدرسة يمكن أن تقدم على مثل هذا التصرف المناقض لكل فكر سليم ، بل تحرص كل مدرسة على أن تكون هناك ملابس من مقاسات مختلفة (من ٣٥ و ٣٦ حتى ٤٠ و ٤٢ مثلاً) بل يمكن للطفل الواحد أن يناسبه ذكاء من مقياس ٣٨ و قميص وبنطلون من مقياس ٣٦ ، فهذه الاختلافات عادية ولا بد أن نواجهها لزياء المدرسة بمقاسات مختلفة .

أساليب التدريس الموحدة تتجاهل اختلافات ذكاءات الأطفال :

لكن هذا الذى يبدو طبيعياً جداً فى مجال الأزياء ، نجد عكسه تماماً فى مجال أساليب التدريس داخل الفصل ، ولتنى لا تنتوع بتنوع أنواع الذكاء التى تتفرد بها كل مجموعة من التلاميذ ، وهى أنواع من الذكاءات تعتمد فى نولحى كثيرة على تفوق حاسة من الحواس أو على تميز قدرة عقلية على غيرها من القدرات .

فنظرية الذكاءات المتعددة التى قام ببراستها الدكتور " هالورد جاردنر " تضع فى اعتبارها تنوع قدرات العقول الإنسانية .

وفى كتابه " تشكيلات العقل " Frames of mind " أو " إطار العقول " الذى صدر سنة ١٩٩٣ ، يشرح الدكتور جاردنر أن كل عقل إنسانى يمتلك عدداً من الذكاءات بدرجات متفاوتة كبيرة أو صغيرة ، لكن كل شخص يولد ولديه نوع متفرد من الذكاء يتفوق فيه ، يستخدمه مع القدر الذى لديه من الأنواع الأخرى من الذكاء ، ليكتسب الخبرة والمعرفة .

أنواع الذكاءات :

وحتى الآن حدد الدكتور جارنر ثمانية أنواع من الذكاء هي :

- * الذكاء اللغوى المتعلق بالكلمات والجمل .
- * الذكاء المنطقى الحسابى المتعلق بالأرقام والرياضيات .
- * الذكاء البصرى المكانى .
- * الذكاء السمعى الموسيقى .
- * الذكاء الحركى الجسدى .
- * ذكاء الوعى بالنفس والقدرة على التعبير عنها .
- * الذكاء الاجتماعى .
- * الذكاء البيئى .

البيئة ودورها فى نمو كل نوع من أنواع الذكاء :

ويؤكد الدكتور جارنر أن نمو هذه الذكاءات أمر لا يفصل عن البيئة التى ينشأ فيها الشخص ، ويستشهد ببطل الشطرنج بوبى فيشر ويقول إنه إذا كان قد نشأ فى مجتمع لا يهتم بالشطرنج ، فمن المحتمل جداً ألا تكون قد نهأت له فرصة ليصبح لاعباً متميزاً من أبطال الشطرنج .

الذكاءات المتعددة والنظم التعليمية :

وقد بدأت نظرية الذكاءات المتعددة فى احتلال مكان هام دخل النظم التعليمية. فقد لاحظ رجال التربية والتعليم أن التلاميذ يتعلمون بأساليب مختلفة الواحد منهم عن الآخر ، ويستجيب كل منهم لأساليب متنوعة ومختلفة من طرق التعليم ، وكل واحد منهم يفضل أسلوباً للتعلم يختلف عما يفضله غيره .

أساليب التدريس التقليدية تفترض وجود نوع واحد من الذكاء :

بينما برامج التعليم التقليدية لا تضع فى اعتبارها أنواع الذكاء التى يتميز بها كل تلميذ . لقد كانت تلك البرامج توضع على أساس من تصور أن هناك نوعاً واحداً من الذكاء يعتمد فقط على القدرات الحسابية (الرياضيات) واللغوية .

وهذا الوجه الأحادى للنظرة ، أدى إلى وضع اختبارات ذكاء لا تراعى إلا هذا النوع الواحد من الذكاء ، وتقرض أن كل الأفراد يتمتعون بهذه القدرة العامة الواحدة التى لا تتغير بتغير العمر أو التدريب أو الخبرة .

أما نظرية الذكاءات المتعددة فتقوم على أن التعليم يجب أن يولاه الاحتياجات التى ينفرد بها ذكاء كل تلميذ للوصول إلى أقصى تفعيل لقدراته المختلفة للوصول إلى أفضل النتائج من العملية التعليمية .

كتب القراءة بالحواس الخمس :

ومن أهم الوسائل التى تُولاه اختلاف أنواع الذكاء فى مرحلة ما قبل الدراسة (الحضانه ورياض الأطفال) ما يمكن أن نطلق عليه " كتب للقراءة بالحواس الخمس".

التربية الحاسية لطفل ما قبل الدراسة (الحضانة ورياض الأطفال) :

حواس الطفل هى الوسائل الخارجية لجهاز الطفل العصبى ، فهو يتلقى بها الصور الحاسية المختلفة للعالم الذى يحيط به .
وتقول الأستاذة الدكتورة عواطف إبراهيم محمد ، فى كتابها " للتربية الحاسية لأطفال الرياض " :

- " الإدراك الحاسى نشاط ذهنى ، يتضمن التنظيم العقلى المعرفى لإحساسات الطفل المتنوعة ، لأنه يُضفى على الصور الحاسية البصرية والسمعية والشمية واللمسية والنوقية ، معانٍ ، تتبع من اتصال هذه الإحساسات بالجهاز العصبى للطفل ، ومن اتصال معانيها اتصالاً يؤدي إلى رسم الخطوط الرئيسية للحياة العقلية المعرفية " .

إن نمو الإدراك الحاسى عند الطفل ، يتأثر بثلاثة عوامل :

- ١- البحث عن المثيرات الحاسية والاحتفاظ بها .
- ٢- تمييز هذه المثيرات وتحديد معالمها ورسومها .
- ٣- تفسير هذه المثيرات وفهم معانيها .

والإدراك الحاسى بهذا التحليل ، يوضح تكوين المدركات والمفاهيم العقلية المختلفة .

وكما تنوعت الصور الحاسية - بصرية ، شمية ، لمسية ، نوقية ، سمعية - التى تلقتها حواس الطفل لشيء ما (لعبة - حيوان - طعام - صورة - كتاب ..) وسجلها جهازه العصبى ، كلما تكونت صور أنق تكاملاً لهذا الشيء فى ذهن الطفل . ولهذا تهتم التربية فى مرحلة ما قبل المدرسة برعاية نمو الطفل الحاسى رعاية مزدوجة ، تتضمن :

(أ) تدريب حواس الطفل على ملاحظة الأشياء ، ولمسها ، والقبض عليها ، وتداولها بين يديه ، حتى يتعرف على خصائص هذه الأشياء من خلال لعبه ونشاطه الذاتى .

(ب) تنوع خبرات الصغير ونشاطاته الحركية ، والسمعية ، والنوقية ، واللمسية ، والشمية التى يمر بها ، حتى يكتسب معرفة متكاملة بالأشياء الموجودة فى بيئته . فيساعده ذلك على اختيار السلوك الذى يتواءم معها . وبذلك يساعد هذا التكامل على نمو شخصيته .

ثورة فى عالم كتب ما قبل المدرسة - القراءة بالحواس الخمس :

وفى ضوء هذا التأكيد من علماء النفس والتربية على دور حواس الحسنيين وطفل الروضة فى اكتساب المعرفة والنمو العقلى والسلوكى ، وفى ضوء التعرف على الذكاءات المختلفة التى تتمتع بها مجموعات الأطفال ، بدأت كتب مرحلة ما قبل المدرسة تبتعد كثيراً أو قليلاً عن شكل الكتب الموجهة إلى الأطفال الأكبر سناً ، لتتلائم مع ما يمكن أن نسميه " القراءة بالحواس الخمس " .

لقد كانت كتب الأطفال أقل من ٦ سنوات ، تعتمد فى معظمها على الصور التى تجاورها كلمات قليلة ، وكنا نطلق على هذه الكتب اسم " كتب مصورة " . لكن هذه الكتب لم تكن تتيح للطفل أن يتعامل معها إلا بحاسة البصر فقط ، وحتى فى هذا المجال ، فإنها لم تكن تستخدم أهم العناصر التى تجذب حاسة البصر ، مثل التجسيم والحركة .

لهذا السبب فإنه قبل عشر سنوات ، فى دول أوروبا وأمريكا ، لم تكن نجد فى مكاتب بيع كتب الأطفال ، إلا أقل من ١٠% من مجموع الكتب المعروضة موجهة لسن ما قبل

المدرسة ، رغم الاتفاق على أن السنوات الأولى من عمر الطفل هى الحاسمة فى إنشاء علاقة حب بين الطفل والكتاب ، وأنها أهم السنوات فى تنمية عادة القراءة عند الطفل وفى تنمية معظم خبراته وقدراته العقلية .

وكانت هذه الحقيقة تفصح عن أن من يشتركون فى تقديم كتاب الطفل ، لم يكونوا قد وصلوا إلى أفضل الأشكال والوسائل لتقديم هذه الكتب ، بالأسلوب الذى يعطى لمختلف حواس الطفل المشاركة فى القراءة والتفاعل مع الكتاب ، والذى يجعل الكتاب مناسباً لاحتياجات مختلف أنواع الذكاء .

ولكن المشاركين فى تقديم الكتب ، من مؤلفين ومصممين ورسامين وناشرين ، لم يلبثوا أن أدركوا الدور الأساسى لمختلف حواس الطفل فى التعامل مع الكتاب واختلاف نوع الذكاء الذى يتمتع به الطفل القارئ ، فبدأت ثورة حقيقية فى تكنولوجيا كتب صغار الأطفال ، تهدف إلى إشراك أكبر عدد من حواس الطفل فى التعامل مع الكتاب .

وكنتيجة لهذه الثورة التكنولوجية ، لوحظ تزايد الإقبال بشكل غير مسبوق على الكتب الموجهة لسن ما قبل المدرسة ، حتى أننا لاحظنا ، فى كثير من المكتبات الكبرى المخصصة لبيع كتب الأطفال فى أوروبا وأمريكا ، أن نسبة الكتب الموجهة لسن ما قبل المدرسة بالنسبة إلى مجموع الكتب المعروضة قد وصلت إلى ما بين ٤٠% و ٥٠% ، وهو تطور سريع ومذهل ، جاء نتيجة الأساليب والأشكال الجديدة ، التى نجحت من خلالها هذه الكتب فى التعامل مع مختلف الحواس ، ومع مختلف أنواع الذكاء ، منذ أول سنة من عمر الطفل .

إنها كتب تم إبداعها لتناسب أطفالاً لم يتعلموا القراءة بعد .. كتب يقرأها الأطفال ، ليس بالكلمات ، بل برؤية الرسوم تتجسم وتتحرك ، وباللمس بالأصابع ، وبالاستماع إلى الموسيقى والأصوات والكلمات ، بل وبالشم أيضاً ، فهذه الوسائل يدرك الأطفال العالم ، ويستطلعون ، ويتعلمون ، ثم يُدْعون .

لهذا نشاهد كل عام فى معرض بولونيا الدولى لكتب الأطفال بإيطاليا ، الآلاف من الكتب التى تقرب من الألعاب . فهى تتجسم ، وبها أجزاء تتحرك ، أو تصدر عنها أصوات

أو موسيقى ، أو يتحسس الطفل صفحاتها ، أو يشمها . كما وجدنا كتبًا صفحاتها ليست من الأوراق بل من القماش أحياناً ومن البلاستيك في أحيان أخرى، أو البلاستيك الشفاف في أحيان ثالثة ليستطيع الطفل تكوين صور جديدة أو ألوان جديدة عندما تنطبق صفحة على أخرى .

دور أكثر إيجابية للطفل في التعامل مع الكتاب :

وبالإضافة إلى هذا التطور الأساسي في كتب صغار الأطفال ، والتي أصبحت تتعامل مع مختلف حواسه ، فإن هذه الكتب أصبحت تعتمد أيضاً على إعطاء الطفل دوراً إيجابياً في التعامل مع الكتاب . فلم تعد هذه الكتب تكفى بما يتلقاه الطفل بحواسه من الكتاب ، بل أصبحت تلقى عليه أنواعاً من الأسئلة . ولكي يجد الإجابة عليها ، لابد أن يتفاعل مع الكتاب ، ويضيف إلى ما يراه ، بتدخل إضافي منه وينوع ما من النشاط الحركي ، حتى يكتمل استقباله لما في الكتاب .

ومن أبرز وأحدث الأمثلة على مثل هذه الكتب ، والتي بدأت معظم دور نشر كتب صغار الأطفال في تقديمها للأطفال ، الكتب القصصية التي تقدم خلال النص رسوماً تدل على كل شخصية ، ويكرر الرسم كلما جاء في النص ذكر تلك الشخصية ، وعندما يستمع الطفل إلى النص ويرى تلك الرسوم ، فإنه يبحث فوق صندوق الموسيقى والأصوات المثبت إلى غلاف الكتاب ، إلى أن يتعرف على الرسم الذي يدل على إحدى شخصيات القصة ، فيضغط على ذلك الرسم ، عنئذ يستمع إلى العلامة الصوتية أو الموسيقية التي تدل على تلك الشخصية ، بهذا يستخدم الطفل ، بطريقة إيجابية ، البصر واللمس والسمع ، للبحث والتعرف ، فيرتبط مع الكتاب بكل هذه الحواس والأنشطة ويلووجه لاحتياجات نوع الذكاء الذي يتمتع به.

كتب المعلومات لأصغر الأطفال :

وقبل عشر سنوات ، كانت كتب صغار الأطفال لا تقدم إلا قصصاً بسيطة ، أو صوراً متفرقة لأشياء يجدها الطفل عادة في بيئته ، لكن تلك الكتب لم تكن تقرب مما نسميه " كتب المعلومات " .

أما الآن ، فإن أكثر من نصف الكتب المقدمة لسن ما قبل المدرسة ، أصبحت تتناول ما يمكن أن نسميه " كتب المعلومات " ، وتحرص على أن تقدمها فى ضوء ما سبق أن ذكرناه ، من القراءة بالحواس الخمس ، ومن إعطاء دور أكثر إيجابية للطفل فى التعامل مع الكتاب ، لمخاطبة مختلف أنواع الذكاء .

ونذكر فيما يلى بعض الأمثلة البارزة لهذا النوع من الكتب :

أ - تنمية القدرة على الملاحظة ، والتعرف على الكل من خلال الجزء :

فهذا كتاب يقدم فى صفحة رسوماً لأربعة حيوانات أو طيور ، ويقدم فى الصفحة المقابلة آثار أقدم واحد من هذه المخلوقات الأربعة ، وعلى الطفل أن يحدد صاحب آثار هذه الأقدام من بين الحيوانات أو الطيور الأربعة . وبعد أن يجيب الطفل مستخدماً خبراته السابقة ، يفتح بأصابعه نافذة فى الكتاب ، ليعرف ما إذا كان على صواب ، أو ليصحح معلوماته.

وهذا الكتاب دعوة لى يتعلم الطفل التعرف على الكل من خلال الجزء ، بالاعتماد على قوة ملاحظة الفرق بين شىء وآخر . إنه يقدم المعلومة من خلال طرح السؤال ، وبعد أن يشارك الطفل فى البحث عن الإجابة ، يقوم الطفل بنفسه بعمل إيجابى ، هو فتح نافذة فى الكتاب للتأكد من صحة إجابته . وهذه بداية " للتعلم الذاتى " الذى يقود فى المستقبل إلى استخدام دائرة المعارف والقاموس والمعجم والأطلس .

ب - الانتقال من الجزئى إلى الكلى :

وهذا كتاب آخر ، صفحاته مترجمة الطول أو الاتساع ، يقدم للطفل عدداً من الحيوانات مثل الغزال ، والجمل ، واللاما ، والزرافة ، والحصان الوحشى . وكلما رفع الطفل صفحة ، اكتشف أن الصفحة التالية بها الجزء العلوى من حيوان جديد ، لكن بقية جسمه اشتركت فى تقديم شكل الحيوان السابق . وتتكرر هذه العملية مع بقية صفحات الكتاب .

وفى النهاية يكتشف الطفل من خلال تقليب الصفحات ، وتأمل الصور ، أن " كل " الحيوانات لها أربع أرجل . وبذلك يكون قد انتقل من الرؤية الجزئية عندما يقول أن لهذه الزرافة

أربع أرجل ، أو أن لهذا الجمل أربع أرجل ، إلى إدراك حقيقة كلية ، هي أن " كل " حيوان له أربع أرجل .

ج - القراءة باللمس والشم :

وهذا كتاب آخر ، يتعرف الطفل من خلال لمس الصور فى صفحاته ، على الفرق بين الفراء الناعم للقط ، والنعل الخشن للحذاء.

كما يتعرف من خلال شم صفحة أخرى ، على أن رائحة المتلجأت (الأيس كريم) تشبه رائحة الشيكولاتة ، كما أنه فى بعض صفحات الكتاب نجد دعوة للطفل لكى يبحث ويستطلع وينقب ، ويعرف ما وراء الشكل الظاهرى ، ليكتشف المخبوء والمختفى .. فهو يرفع ورقة شجر ، أو ورقة " كرنب " ، ليكتشف ما الذى يوجد تحتها .

كتب عن موضوعات مختلفة :

كذلك أصبحنا نجد كتباً تقدم معلومات عن الماء أو الهواء أو الحواس الخمس أو أجزاء الجسم ، أو شكل الوجه والجسم عند التعبير عن مختلف الانفعالات ، والكتب المجسمة والمتحركة التى تقدم مختلف المفاهيم أو الأرقام أو حروف الهجاء .

خاتمة :

إن التكنولوجيا الجديدة لكتب صغار الأطفال قبل السادسة ، قد أصبحت تشكل ثورة حقيقية فى مجال كتب الأطفال ، فقد أصبحت تتعامل مع حواس الطفل الخمس ، وتواجه احتياجات الأنواع المختلفة من الذكاء التى يتمتع بها مختلف الأطفال ، كما أصبحت تعطى للطفل دوراً إيجابياً متامياً خلال تعامله مع الكتاب ، كما أصبحت تقدم بجانب القصص والصور كثيراً من المفاهيم وكتب المعلومات التى تبتدع ، فى تنوع مدهش ، مختلف الأساليب الجديدة ، لكى تناسب أطفالاً لا يقرؤون الكلمات ، لكن لديهم الاستعداد العقلى للتعرف والبحث والمقارنة والاستنتاج ، عن طريق الحواس ، والتفاعل الإيجابى مع الكتاب .

المراجع

1- Irene A. Paredes Barnett (1999) : **Multiple Intelligences** – Frank Schaffer Publications U.S.A.

٢- أ.د نجيب خزام وآخرون – مارس ٢٠٠٢ . ورقة مجمعة لتقارير التقييم والمراجعة للمشروع الاستطلاعى للتربية الدمجية – بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم بمصر .

٣- مكتبا اليونسكو ببيروت والقاهرة – هيئة بحوث الأطفال ببريطانيا .

٤- د. عواطف إبراهيم محمد – التربية الحسية لأطفال الرياض .